

اسلام النجاشي

والاعتماد على المصادر الإسلامية
في الدراسات اللغوية والإسلامية
أمل ورجاء

بقلم
الدواء الركن / محمود سبت غطاب
عضو مجلس الجمع الفقهي الإسلامي

١٤٠٨

من منشورات الجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

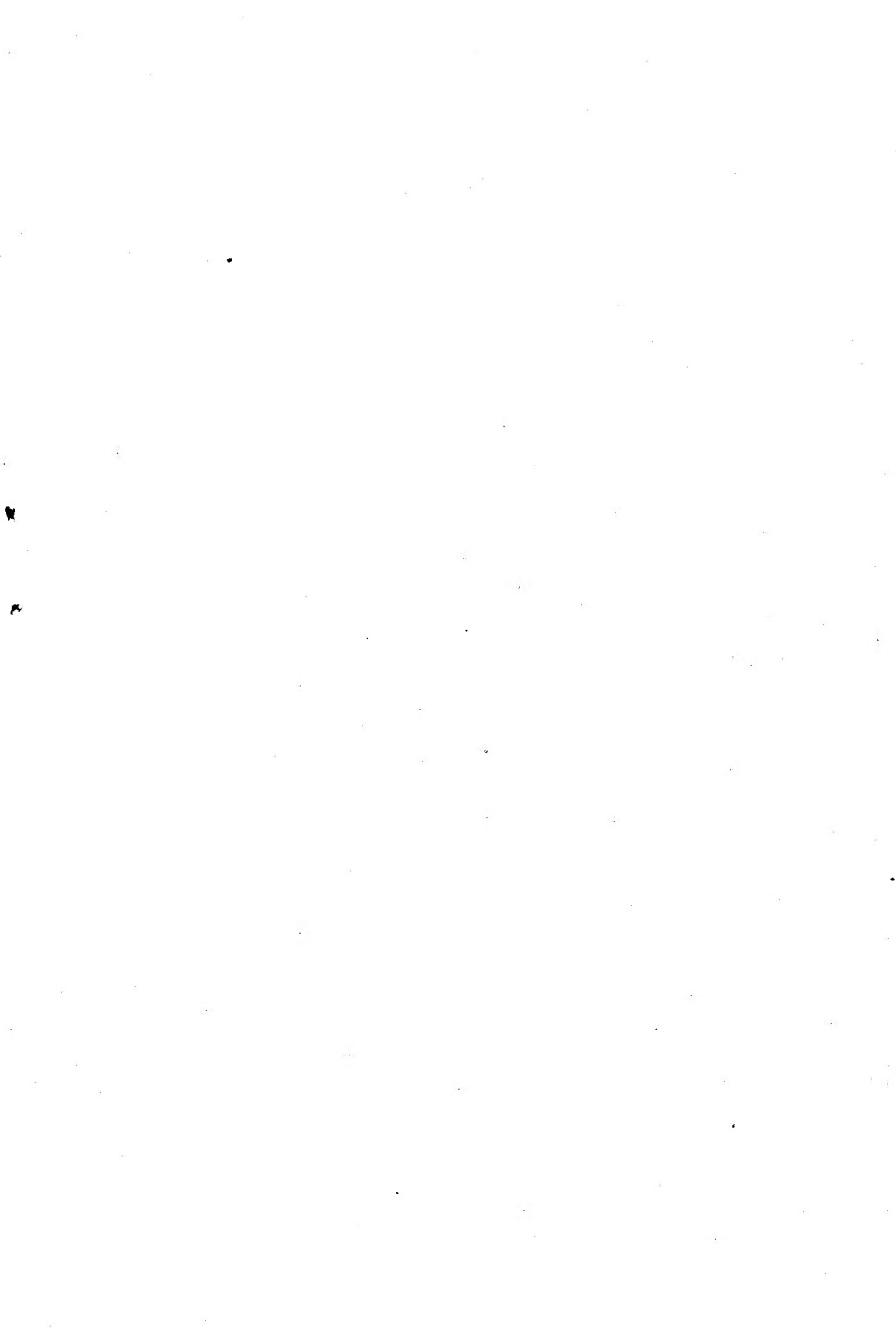
الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م
مكة المكرمة

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله اما بعد :
فان كتاب اسلام النجاشي لمعالي اللواء محمود شيت خطاب
عضو المجمع الفقهي برابطة العالم الاسلامي من الكتب
الاسلامية المفيدة التي تعم الفائدة بها ان شاء الله . ولما لهذا
الكتاب من أهمية فقد أصدر مجلس المجمع الفقهي قراره رقم
(٤) في دورته السادسة عام ١٤٠٣هـ بطباعته وهذه هي
الطبعة الاولى تأتي للمشاركة في كتابة بعض جوانب
التاريخ الاسلامية كتابة معتمدة على المراجع الموثقة ولتكون
مصدرا من مصادر الثقافة الاسلامية .
وختاما اسأل الله ان يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم .

الأمين العام

د. عبد الله عمر نصيف



المصادر لا المراجع

قرأت في العدد الخامس والخمسين للسنة الخامسة من مجلة (الفصل) الغراء السعودية الصادر في شهر محرم الحرام من سنة ١٤٠٢ هـ . الموافق لشهر تشرين الثاني (نوفمبر) من سنة ١٩٨١ م ، مقالا بعنوان : (الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة) ، فاستمتعت بهذا المقال واستفدت منه .

وقد استغرق المقال إحدى عشرة صفحة من صفحات المجلة مع هوامشه التي استغرقت صفحة ونصف الصفحة (من الصفحة ٧١ إلى الصفحة ٨١) ، والجهد المبذول في جمع مادة المقال واضح مشكور .

ولأهمية المقال باعتباره من الدراسات الاسلامية التي تتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم والدعوة إلى الاسلام ، جعلته سببا مباشرا للتعليق على الدراسات الاسلامية بعامة ، وما يتصل منها برسول الله ﷺ بخاصة ، فهذا البحث ليس خاصا بالرد على هذا المقال ، ولكن المقال استشارني للتعليق عليه ، والبحث تعليق على الدراسات الإسلامية المحدثه ، لعل فيه فائدة للقراء والدارسين في الدراسات الاسلامية . وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت .

واسم النجاشي : (أَصْحَمَة) — بفتح الهمزة ، وإسكان الصاد ، وفتح الحاء والميم — وهذا الذي وقع في رواية الامام مسلم في صحيحه هو الصواب المعروف فيه ، وهكذا هو في كتب الحديث والمغازي وغيرها . ووقع في مسند ابن ابي شيبة تسمية : (صَحْمَة) — بفتح الصاد وإسكان الحاء — وقال : «هكذا قال ابن فريد وإنما هو : صَحْمَة» — يعني بتقديم الميم على الحاء — وهذان هما شاذان ، والصواب : (أَصْحَمَة) بالألف . قال ابن قتيبة وغيره : «ومعناه بالعربية : عَطِيَّة» .

وقال العلماء : والنجاشي لكل من ملك الحبشة ، وأما أَصْحَمَة ، فهو اسم علم لهذا الملك الصالح الذي كان في زمن النبي ﷺ ، وأن كل

من ملك المسلمين يقال له : أمير المؤمنين ، ومن ملك الروم : قيصر ،
ومن ملك الفرس : كسرى ، ومن ملك الترك : خاقان ، ومن ملك
القبط : فرعون ، ومن ملك مصر : العزيز ، ومن ملك اليمن : تُبَّع ، ومن
ملك حمير : القيل — بفتح القاف ، وقيل : القيل أقل درجة من
الملك^(١) .

وأعود إلى مقال الكاتب ، فقد نقل المعلومات الواردة في مقاله عن
(المراجع) الحديثة ، وكان الأحرى به أن ينقل تلك المعلومات عن
(المصادر) الإسلامية المعتمدة ، لأن رسائل النبي ﷺ مستوعبة في
تلك (المصادر) استيعابا كاملا ، والعود إلى المصادر أثبت وأدق ، وهو
اعتراف بالفضل لذويه ، ويحجب الناقل عن (المصادر) الشطط التي قد
تكون (المراجع) وقعت فيه بحسن نية أو بسوء قصد ، وما أكثر سوء
القصد الذي ابتلي به كثير من الكتاب والمؤلفين المحدثين .

وحتى (المصادر) التي اعتمدها الكاتب في هوامشه على مقاله ،
نقلها بالحرف الواحد عن أحد (المراجع) . وقد بلغت هوامش المقال
سته وسبعين هامشا ، كلها منقولة عن (المراجع) بما فيها اشاراته إلى
(المصادر) ، أما (المصادر) فغائبة نهائيا عن المقال .

والاقتصار على (المراجع) دون (المصادر) في الدراسات الإسلامية ،
لا مسوغ له ، وبخاصة في نقل موضوع هذا المقال ، لأن كثيرا من
(المراجع) اختلطت في صفحاتها الحق بالباطل ، فمن الحرام علينا أن
ننقل سموم الباطل إلى عقول التلاميذ والطلاب في المعاهد والمدارس
والجامعات ، وإلى عقول القراء في الصحف والمجلات ، وإلى عقول
السامعين والمشاهدين في أجهزة الاعلام المسموعة والمرئية .

وليس معنى هذا ، أنني أريد الاقتصار على (المصادر) دون

(١) النووي — شرح الامام النووي على صحيح الامام مسلم ٢/٢٣٧ — ٢٣٨ المطبعة الكمالية بالقاهرة ١٢٨٣ هـ .

(المراجع) ، فينبغي الاطلاع على (المراجع) إذا حوى المرجع على فكرة جديدة أو رأي جديد أو اكتشاف حقائق جديدة لأول مرة أما إذا كان المرجع قد نقل كل ما حواه عن المصدر ، فمن الضروري أن نعود إلى المصدر ، حتى لا نفسح المجال للتحريف أو التصحيف أو سوء الفهم أو الخطأ في النقل أو النسيان أو الدس عن قصد أو عن غير قصد . وهذا ما وقع به كاتب المقال في اعتماده على (المراجع) دون (المصادر) ، إذ تورط في إنكار إسلام النجاشي ، دون أن يتحقق من خطأ هذا الانكار وخطورته .

ترديد الدسّ والتشكيك

وقد استوقفني في مقال الكاتب ، ما جاء في الصفحة (٧٤) من المجلة من إنكار إسلام النجاشي ، ونص ما ورد في المجلة : «بيد انه يلوح لنا ، أن القول بإسلام النجاشي مبالغة لا يمكن أن تحمل على ما أبداه النجاشي من أدب ومجاملة في استقبال السفارة النبوية . ولو أسلم النجاشي يومئذ لكان الاسلام قد غمر الحبشة كلها ، ولكانت النصرانية قد غاضت منها ، بيد أن الاسلام لم ينتشر في الحبشة إلا بعد ذلك بعصر ، وكان انتشاره في الجهات الشرقية والجنوبية فقط» .

وصاحب المقال قد نقل هذا الكلام عن احد المراجع التي اشار اليها في هوامشه ، وقد اشار إلى المرجع الذي نقل عنه بالهامش الرقم (٣٥) من بين هوامشه ، وكان الكاتب أميناً في نقله الحرفي وفي اشارته إلى المرجع بصراحة ، وقد رجعت إلى المرجع الذي نقل عنه الكاتب وأشار اليه ، فوجدت النقل حرفياً ، وبهذا شارك هذا الكاتب مؤلف هذا المرجع بمسئولية قبول هذا التشكيك والدس وترديده من جديد .

ولو أن الكاتب لم يوافق على هذا التشكيك والدس ، لما أقدم على

نقله حرفياً ، ولردّ عليه وفنده ، ولكنه سكت عليه وأقره .

وعدت إلى المرجع الذي نقل عنه الكاتب ما نقل ، فوجدت أن مؤلف ذلك المرجع نقل هذا الدس والتشكيك عن المراجع الأجنبية المعروفة بعداها للمصادر الإسلامية المعتمدة ، والتي دأبت على التشكيك في تلك المصادر والتهوين من قيمتها العلمية والتاريخية ، في محاولاتها المستمرة أن تصرف الناس عنها ، بحجة العلم والبحث العلمي والمناقشة الموضوعية وعدم التعصب ، إلى غيرها من الشعارات التي خدعوا بها العرب والمسلمين حيناً من الدهر ، ولكن هذه الشعارات بريئة منهم لأنهم بعيدون عن العلم والمناقشة الموضوعية ومتعصبون حين يتصل الأمر بالعربية لغة والاسلام ديناً ، وبما يمت إلى العربية والاسلام من مصادر في العلوم والآداب واللغة والتاريخ ، حيث يجردون معاولهم للهدم والتخريب وأقلامهم للدس والتشكيك .

ونظرة سريعة على المراجع التي ألفها الأجانب عن العربية لغة والاسلام ديناً ، تبرز مبلغ تعصبهم الأعمى المقيت .

والذين يدققون في ثبوت المراجع الأجنبية الخاصة باللغة العربية والدين الاسلامي بما فيه التاريخ الاسلامي ، منذ بدأ الأجانب بالاهتمام بالقضايا العربية والاسلامية ، منذ بزغ نور الاسلام فبدأ اهتمامهم بشكل متواضع محدود ، إلى بداية مد الاتصال بالعرب والمسلمين في الحروب الصليبية بشكل أوثق وأوسع ، إلى طغيان مد الاتصال بالعرب والمسلمين في نهاية الحروب الصليبية التي كانت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين ، حيث تكللت تلك الحروب الصليبية بالاستعمار الغربي ، إلى تخصيص دراسات عالية في الجامعات الأجنبية الغربية والشرقية للدراسات العربية والاسلامية وتسمن الأجانب كراسي تلك الدراسات في الجامعات الأجنبية ، يجد أن مؤلفي تلك المراجع من يهود اصبحوا يهوداً صهاينة في هذا القرن العشرين الميلادي أو من رجال

الدين النصارى وبخاصة المبشرين منهم أو من عملاء الاستعمار العاملين في سلكه السياسي أو الاقتصادي أو العسكري أو العلمي أو بكلام أوضح من الجواسيس ، وهؤلاء ينفذون مخططاتهم التخريبية على العربية والاسلام عمدا وعن سبق إصرار وبأجر مادي أو معنوي أو بهما معا ، ولهم عذرهم فهم اعداء .. فما عذر العربي المسلم الذي ينقل دسهم وتشكيكهم بدون تحقيق ولا تمحيص وبغير اكتراث ، كأن لغته ودينه لا يهمانه من قريب أو بعيد .

لهذا يحرص المخلصون من العرب والمسلمين على العربية لغة القرآن الكريم والاسلام ديننا ، ألا ينقل عربي مسلم ما يخص العربية والاسلام بالذات من المراجع الأجنبية إلا بعد مراجعته في المصادر الاسلامية والتأكد من صوابه نقلا وتحليلا وتعليلا واستنتاجا ، وألا ينقل من المراجع العربية إلا اذا تأكد من أن المؤلف غير متهم في دينه وعلمه ولا يعاني من داء الاستعمار الفكري ، فقد كثر النقل عن المراجع الأجنبية المريبة ونشأت ناشئة من العرب والمسلمين تأثروا بالمستشرقين لأنهم تخرجوا في جامعاتهم أو مؤلفاتهم وابتعدوا عن دينهم وتنكروا للغتهم ، فأصبحوا مستغربين في بلادهم ، يرددون ما يدسه المستشرقون في مؤلفاتهم ، فيخدمون أعداء العربية والاسلام خدمة صادقة من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون .

إسلام النجاشي في المصادر الاسلامية

ورد اسلام النجاشي في كثير من المصادر الاسلامية المعتمدة ، نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر : أسد الغابة في معرفة الصحابة^(١) ، والاصابة في تمييز الصحابة^(٢) ، وتهذيب الأسماء

(١) ابن الاثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة ٨٦/٤ طهران ١٣٣٤ هـ .

(٢) ابن حجر العسقلاني - الاصابة في تمييز الصحابة ٢٤٨/١ القاهرة ١٣٢٣ هـ .

واللغات^(١) ، وتاريخ الرسل والملوك^(٢) ، والكامل في التاريخ^(٣) . وبالجملة فإن المصادر الإسلامية المعتمدة ، تنص على اسلام النجاشي في الحديث عن سيرة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الذي هاجر إلى الحبشة ، وعمرو بن أمية الضمري الكتاني الذي بعثه النبي ﷺ سفيرا إلى النجاشي في أرض الحبشة ، وفي الحديث عن رسل النبي ﷺ في كتب السيرة النبوية المطهرة وفي المصادر التاريخية الإسلامية المعتمدة .

واعتقد أن اعتماد المصادر الإسلامية المعتمدة التي ذكرت منها غيضا من فيض ، أولى من الاعتماد على المراجع الأجنبية ، فالطبري وابن الأثير والنووي وابن حجر العسقلاني اصدق حديثا وأعرف بالعربية والاسلام من بتلر ومولار وموير وميلن ودوزي ، وأفهم للعلوم العربية والإسلامية وأخلص لها .

إن السكوت عن الذين يعتمدون المراجع الأجنبية بالدرجة الأولى ، ويعتبرون المصادر الإسلامية المعتمدة بالدرجة الثانية في اعتمادهم عليها ، لا مسوغ له في حال من الأحوال .

ولو اقتصر اعتماد انصاف المثقفين على المراجع الأجنبية ، لكان الخطب ، ولكن هذا الاعتماد على المراجع الأجنبية يشمل اصحاب الدراسات العليا والشهادات العالية ، وقد اصبح العلم يقاس بالشهادات ولو مع الجهل المطبق لا بالمحرومين من الشهادات ولو مع العلم الأصيل .

وأكثر هؤلاء الذين يحملون شهادات عالية دون أن يتركوا بصماتهم على اختصاصهم العلمي في كتاب أو دراسة أو بحث أو حتى في مقال ، يعرفون المراجع الأجنبية ويجهلون المصادر الإسلامية المعتمدة ،

(١) النووي — تهذيب الأسماء واللغات ١/١٤٨ ط/١ القاهرة بلا تاريخ .

(٢) الطبري — تاريخ الرسل والملوك ٦٥٣/٢ طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٦١ م .

(٣) ابن الأثير — الكامل في التاريخ ٢/٢١٣ بيروت ١٣٨٥ هـ .

وقد قرأت دراسة عن عالم عربي مسلم من مؤلفي السيرة النبوية القدامى ،
كتبه استاذ دكتور ورئيس قسم التاريخ في جامعة عربية اسلامية ، كل
مراجعته في دراسته أجنبية ، اتهمته بالكذب والاختلاق والجهل نقلا عن
الأجانب .

واستغربت أن ينقل هذا العربي المسلم هذه الافتراءات الظالمة ،
فالعالم العربي المسلم أحد مؤلفي السيرة النبوية ، وهو محدث فقيه
مفسر لغوي وامام من أئمة المسلمين ومن ثقاتهم علما وعملا ، فاتصلت
بالاستاذ الدكتور الذي كتب الدراسة عنه ، فسألته : «ألم تطلع على
كتاب : ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ؟» ، وقد ذكرت هذا
الكتاب لشهرته وشهرة مؤلفه ، فما ظننت أن احدا من الطلاب والعلماء
يجهله ، ولكنني صدمت صدمة عنيفة حين أجابني الاستاذ الدكتور
خريج الجامعات الأجنبية في التاريخ الاسلامي !! أنه لم يسمع بهذا
الكتاب !!

وقبل سنوات أجرت مجلة : اللسان العربي ، استفتاء مجمله : هل
تصلح العربية الفصحى لغة للعلم ، فأجاب استاذ دكتور جامعي
مجمعي : لا تصلح العربية لغة للعلم ، تماما كما يجيب اعداء العرب
والمسلمين من المستشرقين والمستغربين على مثل هذا السؤال .
وصادفته في يوم من الأيام ، فسألته : «هل اطلعت على المخصص
لابن سيده ؟» فأجاب بكل بساطة : «لا» .

وهكذا يتهم العربي المسلم العربية لغة القرآن الكريم ، بأنها لا تصلح
لغة للعلم ، وهي اللغة الحية التي قادت العلوم قرونا طويلة ، بينما جعل
اليهودي الصهيوني العربية ، لغة تصلح للعلم ، وهي اللغة الميتة التي ما
كانت في يوم من الأيام لغة علمية .

ويومها كان جوابي على استفتاء مجلة : اللسان العربي : «الضعف
في العرب لا في العربية» وهذا هو الواقع المرير .

وما زرت دائرة من دوائر الحكومة ، إلا وجدت في مكتبة مدير تلك الدائرة نسخة من دائرة المعارف البريطانية .
وما سألت مديرا من مدراء تلك الدوائر الحكومية : «هل تصفحت هذا الكتاب ولو مرة واحدة في حياتك ؟» . والجواب باستمرار هو «لا» ، فلماذا ننفق اموال الدولة عبثا في مثل هذا الكتاب مع ما فيه من الدس والافتراء ، ثم لا نتصفحه ابدا ؟!
إن ثقة العرب والمسلمين في المراجع الأجنبية في غير محلها ، وأخشى أن يكون مصدر هذه الثقة الجهل الأعمى ، حتى ولو كان هذا الجاهل يتباهى بلقب : الاستاذ الدكتور ، فالعبرة ليست بالألقاب ، بل بالانتاج العلمي الهادف الرصين .

تهافت المكذبين

اعتمد الأجانب الذين كذبوا المصادر الاسلامية المعتمدة في اسلام النجاشي على دليلين ، لا بأس من مناقشتها بإيجاز شديد لاثبات تهافتها وتهافتها معا .

فقد قالوا في دليلهم الأول ، المترجم حرفيا عنهم في المرجع العربي الذي نقل عنه كاتب المقال ، والترجمة واضحة لأن الكلمات عربية والاسلوب غير عربي ، والأصل الأجنبى موجود : «بيد أنه يلوح لنا أن القول باسلام النجاشي مبالغه يمكن ان تحمل على ما أبداه النجاشي من أدب ومعاملة في استقبال السفارة النبوية» .

وقد كان النجاشي مؤدبا ومعاملا حقا ، ولكن كثيرا من الملوك غير النجاشي أبدوا أدبا رفيعا ومعاملات في استقبال سفراء النبي ﷺ ، فلم تذكر المصادر الاسلامية المعتمدة أنهم اسلموا لأنهم تأدبوا وجاملوا ، بل

نصت على اسلام قسم منهم ونصت على بقاء قسم منهم على دينه^(١) ، ولم يكن للأدب والمجاملة أي دخل في الموضوع .

وكمثال على ذلك ، فإن أدب المقوقس مع سفير النبي ﷺ ، لم يكن أقل من أدب النجاشي . وأدبه في رسالته إلى النبي ﷺ ، لم يكن أقل من أدب النجاشي ، ومجاملة المقوقس في هديته لم تكن أقل من مجاملة النجاشي إن لم تكن أكثر منها ، فقد كانت هدية المقوقس إلى النبي ﷺ عبارة عن : جارتين مارية واختها ، وبغلة شهباء ، وحمار أشهب ، وثياب من قباطي^(٢) مصر ، وغسل من غسل بنها^(٣) . أما هدية النجاشي إلى النبي ﷺ فكانت عبارة عن كسوة من قميص وسراويل ، وعمامة ، وعطاف^(٤) ، اسواني من قرية يقال لها : أسوان ، وهي آخر مدينة بمصر ، وخفين ساذجين^(٥) .

ومن الواضح ان مجاملة المقوقس في هديته لم تكن أقل من مجاملة النجاشي ، ولكن المصادر الاسلامية المعتمدة التي نقلنا عنها تفاصيل هديتي هذين الملكين إلى النبي ﷺ ، ذكرت ان النجاشي قد اسلم ، وان المقوقس لم يسلم ، فقالوا : «كتب النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الاسلام فلم يسلم»^(٦) وهذا دليل على أن أدب النجاشي ومجاملته في استقبال السفارة النبوية ، لم يكونا وحدهما وراء النص باسلام النجاشي الذي ورد في المصادر الاسلامية المعتمدة ، فقد جامل غيره من الملوك وتأدبوا ، فلم تنص تلك المصادر على اسلامهم ، بل نصت على أنهم لم يسلموا .

(١) انظر التفاصيل في : الطبري ٦٤٤/٢ — ٦٥٧ . وابن الأثير ٢١٠/٢ — ٢١٥ .

(٢) القباطي : نسيج من الكتان ، به زخارف ، اشتهرت به مصر القديمة .

(٣) ابن عبد الحكم — فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ص/٦٩ القاهرة ١٩٦١ م .

(٤) العطاف : الرداء .

(٥) ابن حبيب البغدادي — المغير — تحقيق الدكتور ايلزه ليختن شتير ، بيروت ١٩٣٦ ، وانظر عن مدينة أسوان ما

جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٤٨/١ — ٢٤٩ .

(٦) الطبري ٦٤٥/٢ .

أما دليل المراجع الأجنبية الثاني ، الذي نقله السادرون في ضلال الأجنبي من العرب والمسلمين ، فهو قولهم : «ولو أسلم النجاشي يومئذ ، لكان الاسلام قد غمر الحبشة كلها ، ولكانت النصرانية قد غاضت منها ، بيد أن الاسلام لم ينتشر إلا بعد ذلك بعصر...» الخ . ولم ينتشر الاسلام في أرض الحبشة باسلام النجاشي لأسباب كثيرة ، لعل من أهمها أن حكم النجاشي كان غير مستقر في بلاده ، فقد عانى من عدة ثورات داخلية^(١) ، كان المسلمون المهاجرون إلى أرض الحبشة مع النجاشي على اعدائه ، وأخبار القلاقل والاضطرابات التي عانى منها النجاشي معروفة .

كما أن سلطة رجال الدين المسيحي في بلاط الأحباش وعلى النصارى في أرض الحبشة كانت كبيرة ومؤثرة ، فكانوا دولة إلى جانب الدولة ، ومن الطبيعي أن يحسب النجاشي حساب رجال الدين المسيحي اذا ما دعا إلى الاسلام وعمل على نشره علنا ، فليس من السهل على رجال الدين المسيحي ان يخسروا سلطتهم العظيمة اذا اصبح الشعب الحبشي مسلمين ، لأنه ليس في الاسلام رجال دين بل في الاسلام علماء دين ، والفرق بين الطائفتين كبير جدا ، إذ ليس لعلماء الدين الاسلامي سلطة زمنية ، بينما سلطة رجال الدين المسيحيين بغير حدود ، والعالم في الاسلام يصبح بعلمه وعمله واخلاصه عالم دين ، بينما رجل الدين المسيحي قد يتولى مركزه بالأثر أو بالنسب أو بدعم السلطة الزمنية ، وقد يكون عالما في المسيحية وقد لا يكون .

هؤلاء رجال الدين الاحباش كانت لهم سلطة واسعة ونفوذ واسع في الحكومة وفي الشعب ، فإذا لم يحسب النجاشي حسابهم أو تحداهم في انتزاع سلطتهم وحرمانهم من نفوذهم ، وبخاصة وان للنجاشي اعداء

(١) البلاذري - أنساب الأشراف ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ١٨٨/١ ، ٢٠٢ ، ٥٢٣ - ٥٢٤ .

كثيرين ، يشتد عضدهم إذا ما أصبح رجال الدين الأحباش مع اعداء النجاشي لا معه على اعدائه ، فتقلب موازين القوى حينذاك من صالح النجاشي إلى صالح اعدائه .

ورجال الدين المسيحي «الاكليروس» قوة ذات شأن في القديم ، وحتى في العصر الحديث ، فإن الكنيسة لا تزال قوة في بولونيا ذات الحكم الشيوعي وبعد اعلان الأحكام العرفية فيها بالاضافة إلى الحكم الشيوعي المسيطر اذ ارتفع صوت الكنيسة البولونية بعد إعلان الأحكام العرفية في شهر صفر من سنة ١٤٠٢ هـ المصادف شهر كانون الأول (ديسمبر) من سنة ١٩٨١ م ، كما ارتفع صوت بابا روما بمناسبة بداية السنة الجديدة ، ١٩٨٢ م منددا بالحكومة البولونية مؤيدا منظمة التضامن المعادية للحكم الشيوعي البولوني ومؤيدا الشعب البولوني .

فإذا كان الحكم الشيوعي بما عرف عنه من سيطرة نافذة والحاد علني يخاف سلطة الكنيسة في أواخر القرن العشرين الميلادي ، فلا لوم على النجاشي لخوفه سلطة الكنيسة في اواسط القرن السادس الميلادي ، أي بعد أربعة عشر قرنا خلت ، وكانت سلطة الكنيسة يومئذ اضعاف اضعاف سلطتها في العصر الحديث .

وحتى لو كانت امور النجاشي الداخلية رصينة وسيطرته من بلاده قائمة ، وأقدم على تجاه سلطة رجال الدين المسيحي وتحدى نفوذهم غير مكترث بالعواقب ، فانه ما دام قد اعتنق الاسلام ، فلا بد ان يطبق تعاليمه السمحة التي تنص — كما جاء في الكتاب العزيز : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾^(١) ، وقد بقى كثير من أهل الكتاب على دينهم بعد الفتح الاسلامي في البلاد الاسلامية ، كالعراق وبلاد الشام ومصر (مثلا) ولا يزالون على دينهم حتى اليوم ، لأن الحاكم المسلم لا يجبر احدا على اعتناق الاسلام كرها .

(١) الآية الكريمة من سورة البقرة ٢ : ٢٥٦ .

وهذه الحقيقة ، حقيقة تسامح الاسلام ، لا يفهمها كما ينبغي غير المسلمين ، ولا يريدون ان يفهموها ، فلا عجب ان يقع الأجانب في مراجعهم المريبة بهذا الخطأ الفاضح ، فهم يظنون ان الحاكم المسيحي كالحاكم المسلم ، في إكراه رعيته على اعتناق الدين الذي يعتنقه ، والواقع ان الحاكم المسيحي يكره رعيته الذين على غير دينه على اعتناق دينه قسرا ، اما الحاكم المسلم فلا يكره احدا على اعتناق الاسلام ، فالحاكم المسيحي والحاكم المسلم ليسا سواء في حرية الاعتقاد ، بل هما على طرفي نقيض .

ولقد استولى المسلمون على مقاليد الأندلس بالفتح ، فلم يجبروا احدا على اعتناق الاسلام كرها ، فلما ضعف المسلمون واشتد عصر النصارى وانتزعوا الاندلس من المسلمين ، اجبروا المسلمين على اعتناق المسيحية قسرا بالاعدام والتعذيب والسجون والمعتقلات ومحاكم التفتيش الرهيبة ، كما هو مدون في المراجع الأجنبية وكما هو معروف على نطاق عالمي .

هذا هو الفرق بين الحاكم المسلم والحاكم المسيحي ، وهو ما لا يستطيع غير المسلم أن يفهمه وليس من السهل أن يفهمه ايضا .

وليس هذا هو الفرق الوحيد الذي لا يفهمه الأجنبى غير المسلم ولا يحب أن يفهمه ، فالاسلام لا يفهمه ولا يفهمه غير المسلم ، وأسرار العربية لا يفهمها ولا يفهمها غير العربي المسلم ، فيجب أن يعرف العرب المسلمون بخاصة والمسلمون بعامة هذه الحقيقة ، وينهضوا بواجبهم في تعليم الاسلام ديننا والعربية لغة اساتذة لغير المسلمين لا طلابا ، ورؤساء لا أذنانا ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، والذين يتصدرون من الأجانب في الجامعات الأجنبية ، ويمنحون أعلى الشهادات في الدراسات الاسلامية والعربية العليا للطلاب العرب والمسلمين لا يستحقون مثل هذه الشهادات ولا ينالونها من علماء المسلمين ، وهؤلاء

الأجانب لا يمنحون تلك الشهادات إلا بثمن غال هو تشويه الاسلام ديننا والعربية لغة وتعليم الطلاب العرب والمسلمين الدس والتشكيك في دينهم ولغتهم ، ليعودوا إلى بلادهم ومعهم وسائل الجهل والهدم والتخريب لا وسائل التعليم والبناء والتعمير .

ذلك هو مبلغ تهافت محاولة الأجانب اثبات عدم اسلام النجاشي كما جاءت في المراجع الأجنبية ، والذي تسرب بالعدوى إلى المراجع الاسلامية كما يتسرب الوباء ، وذلك هو مبلغ تفاهة تلك المحاولة ، يفضح مبلغ حقد مؤلفي تلك المراجع على الاسلام والمسلمين ، ومبلغ تعصبهم لليهودية والنصرانية وإخلاصهم للاستعمار القديم والجديد ، فيرفضون بتعصب وعصبية كل خبر بمصلحة الاسلام والمسلمين ويشككون بالمصادر الاسلامية المعتمدة ، ليصفوا الجو لمراجعهم المنحازة المتحيزة غير الآمنة ، التي تضم بين دفتيها الجهل والدس والتشكيك الكثير ، والعلم والصدق والتثبت القليل : ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾^(١)

في مصادر الحديث والفقه

ولو اقتصر الأمر في تكذيب المصادر الاسلامية المعتمدة التي سبق ذكرها على جلالة قدرها ، لكان الأمر على الأقل بالنسبة للمستغربين من العرب والمسلمين الذين أعانوا الأجانب وعاونوهم في الدس والتشويه والتشكيك . ولكن إسلام النجاشي لم يقتصر على تلك المصادر وحدها ، بل شمل مصادر الحديث والفقه الاسلامي بدون استثناء .

ولا أدري هل سيبقى المستغربون في موقف المتفرج ، بعد ان وصل عبث الأجانب بأقدس مصادر المسلمين الدينية ، أم سيكون لهم موقف آخر !!

وأفترض ان هؤلاء المستغربين يجهلون ان اسلام النجاشي قد اجمعت

(١٥) الآية الكريمة من سورة الزخرف ٤٣ : ٧٦ .

عليه مصادر الحديث النبوي الشريف ، وان فقهاء المسلمين في مصادر الفقه الاسلامي قد استنبطوا من اسلام النجاشي وصلاة النبي ﷺ صلاة الغائب وتكبيره في صلاته عليه اربع تكبيرات استنباطات في صلاة الجنازة اتبعها المسلمون منذ موت النجاشي حتى اليوم ، وستبقى متبعة ما بقي الدين الخفيف وبقي المسلمون . إذ لا يستطيع ان اتصور ابدا ان يتقبل مسلم مهما تكن درجة تلوه بأدران الاستعمار الفكري ، اقدام اجنبي حاقد على الاسلام والمسلمين وعلى مصادر الدين الاسلامي الموثوق بها ، يشكك في صحة ما ورد في كتب الحديث الصحيحة وكتب مذاهب الفقه الاسلامي ، فيرفض ما يرد فيها من احاديث صحيحة وأحكام فقهية مجمع عليها ، وإلا لكان هذا المسلم ليس مسلما حقا بل مسلما جغرافيا ، من أبوين مسلمين ومن عائلة اسلامية ، ومن بيئة اسلامية ، وبلاد اسلامية ، ويحمل اسما اسلاميا وجنسية اسلامية ، هذه الشكليات مظهرية في واقعها ، بدون عقيدة اسلامية سليمة ، وإيمان بتعاليم الاسلام ، وحمية على هذا الدين .

وإلى هؤلاء المستغربين من العرب المسلمين ومن المسلمين كافة ، انقل لهم ما جاء عن النجاشي في كتب الحديث والفقه الاسلامي ، على أم أن نستثير فيهم حميتهم الاسلامية ليقفوا الموقف المشرف في الدفاع عن الاسلام ، وعدم الانصياع إلى دس الأجانب وتشكيكهم بسهولة ويسر وعلى أمل ان يعودوا إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

فقد جاء في كتاب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) : البخاري ومسلم ، في باب التكبير على الجنازة ، حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه . خرج إلى المصلى فصنف بهم وكبر أربعاً^(١) .

(١) (أ) محمد فؤاد عبد الباقي — اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص/١٩٣ ، الكويت ١٣٩٧هـ .

(ب) ابن حجر العسقلاني — فتح الباري بشرح البخاري ٩٢/٣ و١٦٤/٣ مطبعة بولاق بالقاهرة ١٣٠٠هـ .

(ج) النووي — شرح الامام النووي على صحيح مسلم ٣٣٧/٢ ، المطبعة اللسنتية بالقاهرة ١٢٨٣هـ .

وجاء فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : «نعمي لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة ، اليوم الذي مات فيه ، فقال : «استغفروا لأخيكم»^(١) .

وجاء فيه حديث جابر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ صلى على اصحمة النجاشي فكبر اربعاً^(٢) .

وجاء في كتاب : (تيسير الوصول إلى جامع الاصول من حديث الرسول ﷺ) ، في الفصل الثالث في صلاة الجنائز عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نعمي النبي ﷺ النجاشي رحمه الله في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصفهم وكبر عليه اربع تكبيرات . أخرجه الستة^(٣) : البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، ومالك^(٤) وفي أخرى للشيخين البخاري ومسلم ، وللنسائي : «نعمي النجاشي في اليوم الذي مات فيه وقال : «استغفروا لأخيكم» ولم يزد^(٥) . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : (كان زيد بن أرقم يكبر على جنازتنا اربعاً ، وأنه كبر على جنازة خمسا . فسألناه ؟ فقال : كان النبي ﷺ يكبرها) أخرجه الخمسة إلا البخاري^(٦) .

وجاء في كتاب : (المنتقى من اخبار المصطفى ﷺ) في : الصلاة على الغائب بالنية ، عن جابر ان النبي ﷺ صلى على اصحمة النجاشي فكبر عليه اربعاً . وفي لفظ قال : «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش ، فهلم فصلوا عليه» قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ

(١) المؤؤ والمراحان ١٩٣ ، وفتح الباري ١٦٠/٣ ، وشرح النووي على مسلم ٣٣٧/٢ .

(٢) المؤؤ والمراحان ١٩٣ ، وفتح الباري ١٦٣/٣ ، وشرح النووي على مسلم ٣٣٧/٢ .

(٣) ابن الديبع الشيباني — تيسير الوصول ، تحقيق محمد حامد الفقى ٣١٢/٢ ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٦هـ .

(٤) تيسير الوصول ١/١ .

(٥) تيسير الوصول ٣١٢/٢ .

(٦) تيسير الوصول ٣١٢/٢ .

فصففنا ونحن صفوف ، متفق عليهما^(١) ، أي رواهما : البخاري ومسلم واحمد^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، ان النبي ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصفف بهم ، وكبر عليه أربع تكبيرات ، رواه الجماعة^(٣) البخاري ، ومسلم ، واحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابو داود ، وابن ماجه^(٤) وفي لفظ : (نعى النجاشي لأصحابه ثم قال : «استغفروا له» ثم خرج بأصحابه إلى المصلى ، ثم قام ، فصلى بهم كما يصلى على الجنازة) ، رواه احمد^(٥) وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : «إن أخاكم النجاشي قد مات ، فقوموا فصلوا عليه» قال : (فقمنا فصففنا عليه كما نصف على الميت ، وصلينا عليه كما نصلي على الميت) ، رواه احمد والنسائي والترمذي وصححه^(٦) .

واحاديث نعى النبي ﷺ للنجاشي والصلاة عليه صلاة الغائب ، ودرجتها العالية من الصحة ، ادلة قاطعة على اسلام النجاشي .

ودرجة صحة قسم منها ، يكفي للدلالة عليها ، ان البخاري ومسلم في صحيحهما والامام احمد بن حنبل في مسنده ، وابا عيسى الترمذي في جامعه ، وابا عبد الرحمن النسائي في سننه ، وابا داود السجستاني في سننه ، وابن ماجه القزويني في سننه ، قد رووا تلك الأحاديث ، فلا مجال للشك أو التشكيك في صحتها وقوتها .

(١) ابن تيمية — المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ ، تحقيق محمد حامد الفقي ٨٢/٢ ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٠ هـ .

(٢) المنتقى ٣/٢ .

(٣) المنتقى ٨٢/٢ .

(٤) المنتقى ٣/١ .

(٥) المنتقى ٨٢/٢ .

(٦) المنتقى ٨٢/٢ .

كما أن تعبير النبي ﷺ في قسم من هذه الأحاديث : «استغفروا لأخيك» يدل على إسلام النجاشي : «إنما المؤمنون أخوة»^(١) ، وتعبيره عليه الصلاة والسلام : «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش ..» يدلان دلالة واضحة على إسلام النجاشي ، لا يشك في ذلك ولا يشكك به مسلم عالم .

واعود إلى مصادر الفقه الاسلامي ، فأقرأ في كتاب : (الفقه على المذاهب الأربعة) ، في بحث : شروط صلاة الجنازة : «فأما شروطها ، فمنها أن يكون الميت مسلماً ، فتحرم الصلاة على الكافر لقوله تعالى : ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾»^(٢) «...»^(٣) ، ومن أركان صلاة الجنازة التكبيرات ، وهي أربع بتكبير الاحرام»^(٤) .

وجاء في كتاب : (المدونة الكبرى لامام دار الهجرة الامام مالك بن أنس الأصبحي) في بحث : رفع الأيدي في التكبير على الجنازة ، قال الامام مالك : «انه ليعجبني ان يرفع يديه في التكبيرات الأربع»^(٥) .

وجاء في كتاب : (الأم) ، في باب الصلاة على الجنازة والتكبير فيها وما يفعل بعد كل تكبيرة : «إذا صلى الرجل على الجنازة كبر أربعاً ، وتلك السنة» ، وذكر حديث أبي هريرة : «ان النبي ﷺ نعى للناس النجاشي اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصصف بهم ، وكبر أربع تكبيرات»^(٦) .

وجاء في كتاب : (القواعد النورانية الفقهية) في فصل الصلوات في الاحوال العارضة : «وكذلك الجنازة ، فإن اختيارهم انه يكبر عليها

(١) الآية الكريمة من سورة الحجرات ٤٩ : ١٠ .

(٢) الآية الكريمة من سورة التوبة ٩ : ٨٤ .

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ٢٨٠ ، مطبع الشعب بالقاهرة — كتاب الشعب ، بلا تاريخ .

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة ٢٧٨ .

(٥) الامام سحنون بن سعيد التنوخي ، المدونة الكبرى ١٧٦/١ ، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٤ هـ .

(٦) الامام الشافعي — كتاب الأم ٢٣٩/١ ، مطبعة بولاق بالقاهرة ١٣٢١ هـ .

أربعاً ، كما ثبت عن النبي ﷺ واصحابه ، انهم كانوا يفعلونه غالباً ..»^(١) .

وجاء في كتاب : (الاختيار لتعليل المختار) في فصل الصلاة على الميت : «والصلاة على الجنازة أربع تكبيرات»^(٢) .

وجاء في كتاب : (فقه الامام الأوزاعي) في فصل أحكام الصلاة على الجنازة وتشيعها : «مذهب الامام الأوزاعي ان عدد التكبيرات للصلاة على الجنازة أربع»^(٣) .

وجاء في كتاب : (الدراري المضية شرح الدرر البهية) في فصل الصلاة على الجنازة : «واما التكبير أربعاً أو خمسا فلورود الأدلة بذلك ، أما الأربع فثبت ثبوتاً متواتراً من طريق جماعة من الصحابة رضي الله عنهم»^(٤) .

وجاء في كتاب : (المُحَلَّى) في مسألة التكبير على الجنازة في الصلاة عليها : «ويكبر الامام على الجنازة خمس تكبيرات لا أكثر ، فإن كبروا أربعاً فحسن ، ولا أقل»^(٥) . كما جاء في مسألة الصلاة على الميت الغائب : «ويصلى على الميت الغائب بامام وجماعة ، فقد صلى رسول الله ﷺ على النجاشي رضي الله عنه — ومات بأرض الحبشة — وصلى معه اصحابه عليه صفوفاً ، وهذا اجماع منهم لا يجوز تعديه»^(٦) .

وجاء في كتاب : (فقه السنة) في فصل أركان الصلاة على الميت : «التكبيرات الأربع ، لما رواه البخاري ومسلم عن جابر ، ان النبي ﷺ

(١) ابن تيمية — القواعد النورانية الفقهية ، تحقيق محمد حامد الفقي ٨٧ ، مطبعة السنة النبوية بالقاهرة ١٣٧٠ هـ .

(٢) عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي — الاختيار لتعليل المختار ٩٤/١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ط٢/ ١٣٧٠ هـ .

(٣) الامام الأوزاعي — فقه الامام الأوزاعي ، جمع الدكتور عبد الله محمد الجبوري ٣١٠/١ ، بغداد ١٣٩٧ هـ .

(٤) الشوكاني — الدراري المضية شرح الدرر البهية ٢٣٠/١ ، ط١ مطبعة الحررة بالقاهرة ١٣٣٨ هـ .

(٥) ابن حزم الاندلسي — المحلَّى ١٢٤/٥ ، المطبعة النبية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ .

(٦) المحلَّى ١٦٥/٥ .

صلى على النجاشي ، فكبر أربعاً ، قال الترمذي : والعمل على هذا عن أكثر أهل العلم من اصحاب النبي ﷺ وغيرهم ، يرون التكبير على الجنازة أربع تكبيرات ، وهو قول : سفيان ، ومالك ، وابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحق^(١) .

وجاء في فصل الصلاة على الغائب من هذا الكتاب : «تجوز الصلاة على الغائب في بلد آخر ، سواء أكان البلد قريباً أم بعيداً ، فيستقبل المصلي القبلة ، وينوي الصلاة عليه ، ويكبر ويفعل مثل ما يفعل في الصلاة على الحاضر ، لما رواه الجماعة عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى ، فصَفَّ اصحابه ، وكبر أربع تكبيرات»^(٢) .

تلك هي مجمل ما ورد في قسم محدود من مصادر الفقه الاسلامي استنباطاً من احاديث النبي ﷺ في صلاته صلاة الغائب على النجاشي . ولو تركت العنان لنفسي في الاقتباس من مصادر الفقه الاسلامي حول هذا الموضوع ، لبعد الشوط وطال المدى ، فقد اقتبست ما اقتبسته بشكل عفوي من كل مصدر فقهني وقع في يدي ، فتبين لي بوضوح أن مصادر الفقه الاسلامي عامرة بدون استثناء بالاستنباط من احاديث النبي ﷺ في صلاة الغائب على النجاشي ، ومن هذا الاستنباط في شروط صلاة الغائب : «أن يكون الميت مسلماً ، فتحرم الصلاة على الكافر» ، وفي التكبيرات الأربع في صلاة الجنازة ، وفي الصلاة على الغائب بامام وجماعة ، وعلى من تجوز صلاة الغائب وكيفية الصلاة عليه .

ولعل ما يمكن ملاحظته في تعبير ابن حزم الأندلسي رحمه الله ، وهو من هو علماً وعملاً وديناً وقوة حجة ورجاحة عقل وورعاً ومنطق وسلطاناً

(١) السيد سابق — فقه السنة ٨٨/٤ ، دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٣٧٣ هـ .

(٢) فقه السنة ١١٠/٤ .

لسان ايضاً — عند ذكر النجاشي ونبيه وصلاة الغائب عليه ، قال : «صلى رسول الله ﷺ على النجاشي رضي الله عنه» ، ولن يستحق مثل هذا التعبير : رضي الله عنه ، إلا المسلم الذي حسن اسلامه واحسن في عمله وكان مؤمناً عاملاً مخلصاً في عمله لا غبار على إيمانه وعمله واخلاصه ، وخاصة مثل ابن حزم الذي لا يسبغ هذا الوصف على أحد إلا إذا كان يستحقه استحقاقاً لا مزيد عليه .

أمل ورجاء

ولست اشك لحظة في أن مؤلف المرجع العربي والكاتب الذي نقل عنه ما نقله ونشره في مجلة (الفصل) السعودية يجعلان ان اسلام النجاشي موثق في مصادر الحديث كلها ومصادر الفقه الاسلامي بدون استثناء ، وانهم ظنوا — وبعض الظن إثم — أن النص على اسلام النجاشي يقتصر على مصادر السير والتاريخ ، لأنهما لو علما بأن اسلام النجاشي لا تختلف عليه مصادر الحديث والفقه الاسلامي لما اقدما على تكذيب اسلامه وكان لهما شأن آخر مختلفاً جداً .

ولا لوم على الأجنيبي غير المسلم في التشكيك باسلام النجاشي والدرس على المصادر الاسلامية تحقيقاً لأهدافه المعروفة المكشوفة في التشكيك والدرس ، ولكنني ألوم المسلم الذي يروج لمثل هذا التشكيك والدرس ، دون أن يعود إلى المصادر الاسلامية باحثاً محققاً ، ليكون على بينة من الأمر ، فإذا ثبت واقتنع فإن واجب الأمانة يقضي عليه ان يحكمها بلفظها الذي رآه في مصدرها الاسلامي ، لتكون تبعة روايتها على راويها الأول وليخرج من عهدتها .

أما النقل من المراجع الأجنبية في القضايا الاسلامية ، دون الرجوع إلى المصادر الاسلامية المعتمدة ، فخطأ فاحش لا مسوغ له ، ولا عذر

لمن يفعله ، ويؤدي به إلى ما أدى به نقل المؤلف العربي المسلم والكاتب العربي المسلم عن المراجع الأجنبية من خطل شنيع .
ولا يفوتني هنا ، ان اذكر ، ان امثال قضية اسلام النجاشي تعتبر حديثا عن النبي ﷺ وانه يجب في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام تحري الصدق والصحة ، على قواعد اهل العلم بالحديث ، خروجا من تبعة قوله عليه الصلاة والسلام : «من حدّث عني بحديث يرى انه كذب فهو احد الكاذبين»^(١) .

والعالم حقا هو الذي يتحرى ويثبت فيما يقول ويكتب ، هذا هو شعار علماء السلف الصالح ، يوم كان الناس يخافون الله ، فيتحرون الصدق . أما اليوم ، بعد تنظيم الهجمة على التراث الاسلامي والمصادر الاسلامية ، واصبح هذا التراث والمصادر مطوقا من الخارج بالمستشرقين واضرابهم ، ومن الداخل بالمستغربين وأذئابهم ، فأصبح التحري والتثبت واجبا لا محيد عنه ، وبخاصة في النقل عن المراجع الأجنبية بدون استثناء ، وعن المراجع العربية الاسلامية إلا إذا كان المؤلف معروفا بالصلاح والاستقامة والالتزام بالدين الخفيف .

ويدعوني نقل المؤلف في مرجعه والكاتب في مقاله ، إلى حديث آخر يتصل بسببه ، فقد ازدحمت المكتبة العربية والاسلامية في هذا القرن بالذات ، بطائفة تختلف ألوانها والغرض منها وتتحّد في الموضوع ، تلك هي الكتب التي تتناول حياة النبي ﷺ وسيرته وسيرة اصحابه وعصرهم ، على اسلوب من (الفن) أو اسلوب من رواية التاريخ ، أو لون من ألوان التربية الدينية ، فثمة عشرات من الكتب والمقالات لعشرات من الكتاب ، قد اتخذوا عصر النبوة موضوعا لحديث ذي أفانين ، يختلف باختلاف من يتناولونه ذوقا وأداء وفنا ، فمنها الكتاب

(١) رواه مسلم وابن ماجه واحمد بن حنبل ، انظر : مختصر شرح الجامع الصغير للمازني ٢٩٣/٢ .

الذي حاول كاتبه أن يجعله للتحقيق والرأي ، والكتاب الذي خرج للفن وامتناع القارئ ، والكتاب الذي هيأه مؤلفه للحوار والمسرح ، والكتاب الذي أنشئ لتصوير عبقرية ، فكانت كما تصورها الكاتب لا كما كان صاحبها .

لقد قرأت هذه الكتب جميعا ، واني لاختشى ان عدوى اعدائنا من الأدب الاوروي الغربي والشرقي ، حين نُحِيل إلى كثير من كتاب العرب والمسلمين ومؤلفيهم. أننا من تاريخ عصر النبوة بأزاء مادة يستخدمونها فيما ينشئون — للفن أو للتاريخ ، أو لما يريدون غير الفن والتاريخ — كما استخدم ادباء أوروبا وأمريكا ومؤلفوها الشرقيون والغربيون ، اساطير الأعريق وخرافات اليونان منذ عصر مضى .

ولكن تاريخ عصر النبوة لأعز على المسلمين وأغلى .
إن للفن حريته ، ولكنه هنا في هذه الحقبة من تاريخ الاسلام ، ينبغي أن يقيد بقيوده ، حتى لا تكون حريته سببا إلى فساد عقيدة ، أو إلى مسخ تاريخ .

وقد ابتلى العرب والمسلمون بطوفان من خريجي الجامعات الأجنبية الشرقية والغربية ، الذين ابتعثوا إلى تلك الجامعات بعد تخرجهم في المدارس الاعدادية وهم في ريعان الشباب وذروة المراهقة ، ليتعلموا في الجامعات الأجنبية اللغة العربية والتاريخ الاسلامي ، والشرعة الاسلامية !!

ولم يكن اولئك الشباب على علم بمصادر التاريخ واللغة والشرعة الاسلامية حديثا وفقها حين أوفدوا إلى الجامعات الأجنبية ، فبهرتهم المراجع الأجنبية ومهرهم الاساتذة الأجانب واكثرهم اعداء للعربية لغة والاسلام ديناً ، ومراجعهم اساساً قائمة على الدس والتشكيك ، وهم لا يعطون شهاداتهم العالية إلا بعد أن يطمئنوا اطمئناناً كاملاً إلى انحراف طلابهم وانهم سممو أفكارهم وصاغوهم كما يريد الأعداء لا كما يتمنى

ويعود طلاب الأمس ودكاترة اليوم إلى بلادهم ، وهم لا يعرفون غير المراجع الأجنبية ، ويجهلون مصادرهم العربية الاسلامية ويشكون في سلامة ما جاء فيها ويتمونها بالتزوير ، ويطلقون عليها : الكتب الصفراء ، فإذا تولوا مراكز التعليم في الجامعات العربية والاسلامية ، يعقوهم المتحرفة وأفكارهم المسممة ومراجعهم الأجنبية المتحرفة الخبيثة ، نقلوا انحرافهم إلى طلابهم وسممو عقولهم ، ونقلوهم من صفوف الأصدقاء والأبناء ، إلى صفوف الحاقدين والأعداء .

ولست أذيع سرا ، إذا أكدت ان ثمن منح الشهادات العالية للطلاب العرب والمسلمين من بعض الاساتذة الأجانب ، هو الانتفاء لبعض المبادئ الهدامة كالماسونية التي هي جزء لا يتجزأ من الصهيونية ، لأن من أهم أهدافها إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى في القدس الشريف مسرى النبي ﷺ أول القبلتين وثالث الحرمين ، وثمنا ايضا انحراف رسالة الطالب انحرافا يؤدي به إلى الكفر أحيانا ، فلا عجب ان نجد اكثر رسائل طلابنا بقيت سرا من الأسرار لم تنشر ولم يطلع عليها أحد من المسلمين منذ كتبت ونوقشت ومنح عليها صاحبها الشهادة العالية حتى اليوم .

لذلك اتمنى على العربي المسلم ، وأرجو من المسؤولين عن الإيفاد للخارج ، ألا يبعثوا احدا إلى الجامعات الأجنبية من خريجي المدارس الاعدادية أولا ، ولا يبعثوا للتخصص في الدراسات الاسلامية والعربية ثانيا ، لأن الاساتذة الأجانب هناك لا يفهمون القضايا الاسلامية والعربية كما ينبغي ، ولا يعلمون طلابهم إلا الجهل والدس والتشكيك والانحراف .

وإذا كنا بحاجة إلى الأجانب في الدراسات العلمية الصرفة والتطبيقية العليا ، فلسنا بحاجة إلى الأجانب في الدراسات الاسلامية واللغوية ، بل

إن الأجانب بحاجة إلى العرب والمسلمين في هذه الدراسات .
وقد عرفنا قسما من اساتذة الدراسات العليا الاسلامية والعربية من
الأجانب في الجامعات الأجنبية ، فوجدنا اكثرهم يحسنون الدس
والتشكيك والافتراء ، ولا يحسنون فهم الاسلام ديننا والعربية لغة ، وهؤلاء
الذين يمنحون أعلى الشهادات العلمية للطلاب العرب والمسلمين ،
لا يستطيعون الحصول على الشهادة الابتدائية في الاسلام أو العربية من
معلمي العرب والمسلمين .

وقد استقدم احد هؤلاء الاساتذة الأجانب من احد طلابه النجباء
ليلقي ثلاث محاضرات في التفسير والمفسرين في جامعة من الجامعات
العربية سنة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ، فأشاع في محاضراته الدس في إثارته
قصة الغرائيق ، وبذر بذور التشكيك في حديثه عن الاسرائيليات في
التفسير ، وسبّ باسم البحث العلمي المزيف وبطريقة مزج السم
بالعسل أقدس مقدساتنا في عقر دارنا ، ونهب أموالنا على ما اقترف من
آثام ، ولكنه لم يحسن قراءة آية من آيات الذكر الحكيم .

وأمل في كل عربي ومسلم ، ورجائي من المسئولين ، ألا يكرروا مثل
هذا الخطأ الشنيع ، فما يصح أن يهان أقدس مقدساتنا بأموالنا في عقر
دارنا وما ينبغي ، مهما تكن الأعذار والتعلات .

ولعل من مظاهر ضعف الاساتذة العرب والمسلمين من ذوي
الشهادات العالية الأجنبية في الدراسات العربية والاسلامية ، ما نلمسه
من ضعف طلابنا المتخرجين في تلك الجامعات ، فأكثرهم لا يفرق
بين الحلال والحرام ويفتي بغير علم ولا يحسن كتابة سطر واحد بلا
خطأ علمي أو لغوي أو املائي ، وما نلمسه من تساهل أولئك الاساتذة
في منح الشهادات العالية لكل من هب ودب ، ليأكلوا بشهادتهم لقمة
العيش لا ليحملوا أمانة العلم ويعلموا الناس .

واشهد أنني رأيت طالبا في الدراسات العليا في داره ، ومعه استاذة

المشرف على رسالته ، ومع الاستاذ زوجه واولاده وبناته ، ورأيت الاستاذ يكتب رسالة طالبه الذي يشرف عليه ، والطالب قائم على رأسه يستحثه ويلومه ويعتفه على تباطئه ، فلما نصبت موائد طعام الغداء تناول الطعام الاستاذ وأفراد عائلته ، وعلمت أن الاستاذ المشرف يتلقى الهدايا النقدية والعينية من الطالب ، ويطالب بها كما يطالب بها أفراد عائلته ، وهي ليست هدايا بل رشوى دون شك .

وشهدت يوم مناقشة هذا الطالب في رسالته ، فدافع الاستاذ المشرف عن ثغراتها وعيوبها دفاعا مجيدا ، وناقش الاستاذ المشرف الرسالة التي دمجتها براعته مع زملائه ، واختلت لجنة المناقشة بضع دقائق ، ثم عادوا إلى أماكنهم ليعلنوا منح الطالب شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى .

ويومها تذكرت عالم الدين الموصلى الذي تلقى ولده الوحيد عليه العلم ثلاثين سنة ، ثم رفض منحه «الإجازة» قائلا : «أين أذهب من ربي ؟ إنه لا يستحق أن يؤجر» ، فقارنت بين أمانة العالم بالأمس وبين أمانة العالم اليوم ، فلم أملك إلا الرثاء لأمتي التي تتقدم إلى الوراء ، بينما تقفز الأمم قفزا إلى الأمام .

إني لأتمنى على الله ، وارجو من المسؤولين أن يعيدوا النظر في ملاكات الجامعات وأن يبتروا كل عضو فاسد فيها ، وهم معروفون بأسمائهم وآثارهم على كل حال .

لقد تحسن التعليم كمية ولكنه ساء نوعية ، والمطلوب أن يتحسن كمية ونوعية في آن واحد ، فإن النوعية من العلماء الذين كانوا بين العرب والمسلمين قبل ثلاثين سنة لا مثيل لهم في الوقت الحاضر ، وقد تركوا فراغا بعد رحيلهم فلم يستطع غيرهم أن يسدوا هذا الفراغ .

لقد كان في مدينة الموصل قبل خمسين سنة مثلا (١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م) ما يناهز المائة عالم من علماء الدين ، من بينهم خمسة

علماء يصلحون تولي منصب شيخ الأزهر بكل جدارة ، وكان في مدينة الموصل أكثر من عشرين مدرسة علمية في الجوامع لتعليم الدين الاسلامي واللغة العربية ، وكانت الجوامع عامرة بالخطباء والأئمة والوعاظ .

واليوم (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ، أغلقت المدارس الدينية ، واقررت الجوامع من الخطباء والأئمة والوعاظ ، ولا يوجد في الموصل من يصلح أن يكون شيخا في الأزهر لا شيخا للأزهر .

ولكن الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة قبل خمسين سنة ثلاثة بالمائة من مجموع السكان فأصبحوا اليوم ثمانين بالمائة ، وهكذا زادت الكمية وقلت النوعية ، فلا بد من أن يكون في التعليم خطأ مقصود أو غير مقصود ، وأتمنى على الله ، وعلى المسئولين أن يفتشوا عن هذا الخطأ ويصلحوه .

إن قراءة المراجع الأجنبية في الدراسات العربية والاسلامية شيء ، والانهار بها وتصديق كل ما فيها شيء آخر ، فليس في الدنيا كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلا القرآن الكريم ، أما الكتب الأخرى ومنها المراجع الأجنبية ، فلا تخلو من اخطاء ، ولا ينبغي الانهار بها ولا تصديق كل ما فيها من غث وسمين .

والذي اتماه على كل عربي ومسلم يقرأ تلك المراجع الأجنبية ، وبخاصة ما يبحث في الدراسات الاسلاميه واللغة العربية ، ان يعود إلى المصادر الاسلاميه في اللغة والدين والتاريخ ، ويقارن بين ما جاء في المصادر الاسلاميه المعتمده وبين ما جاء في تلك المراجع الأجنبية ، ليتبين الحق من الباطل ، فيأخذ بالحق ويعتمده ، ويرفض الباطل ويتجنبه — على الأقل — أو يرد على تلك المراجع الأجنبية مدافعا عن الحق دافعا للباطل ، ويفضح عوراتها في الجهل والدس والتشكيك .

أما أن يأخذ كل ما يرد في المراجع الأجنبية دون تمحيص ، فهذا هو

عين الخطأ الذي لا مسوغ له ، لأن أقلام أكثر الأجانب في مؤلفاتهم غير نظيفة وتشوه الحقائق ، وبخاصة إذا كانوا من يهود أو النصارى المبشرين أو من الملوثين بأدران الاستعمار بشكل من الأشكال .

والمؤلف العربي المسلم في كتابه ، والكاتب في بحوثه ودراساته ومقالاته مؤتمن على عقول أبناء أمته العرب والمسلمين ، فما ينبغي أن يقودهم إلى الضلال وإلى الباطل ، ويلوث عقول القراء وقلوبهم .

والمدرس في مدرسته والاستاذ في جامعته ، مؤتمنون على عقول تلاميذهم وطلابهم ، والمفروض أن يعلموهم ما ينفع الناس ويمكث في الأرض ، لا ما يضر الناس ولا يستقيم مع الحق .

وكم أتمنى على كل كاتب ومؤلف ومدرس واستاذ ، أن يقرأ سير المؤلفين الأجانب ، ليجد أنهم في الغالب كتبوا ما كتبوا لتخريب عقول العرب والمسلمين وبيوتهم أيضا ، ففسدوا وشكلوا وافتروا لمصلحة اعداء العرب والمسلمين لا لمصلحة العرب والمسلمين ، فكيف اذا يروج كاتب عربي مسلم ومؤلف لأفكار امثال هؤلاء المؤلفين ؟!

ذلك أمر عجيب غريب حرصت على كشفه دفاعا عن ديني ولغتي وتراث المسلمين المجيد ، فلا يجتمع الغربيون والشرقيون على محاربة دين كالاسلام ، ولا لغة كلغة القرآن الكريم ، ولا تراث كتراث المسلمين ، وطالما سمعنا الغربيين يرددون : إن يقظة المسلمين أخطر على الغرب من الشيوعية ، وطالما سمعنا الشرقيين يرددون : إن يقظة الاسلام اخطر على المعسكر الشرقي من الغرب ، فهل من الانصاف أن يوالي قسم من أبنائنا العرب والمسلمين اعداء العرب والمسلمين ، ويحققوا أهداف الأعداء التخريبية ؟!

والله أسأل أن يفيد بهذ البحث ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .
والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدي ومولاي رسول الله ، وعلى آله واصحابه أجمعين .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المصادر لا المراجع	٥
ترديد الدس والتشكيك	٧
إسلام النجاشي في المصادر الاسلامية	٩
تهافت المكذبين	١٢
في مصادر الحديث والفقہ	١٧
أمل ورجاء	٢٤
الفهرس	٣٢